المحاضرة السابعة

الأسلوب الإنشائي وأضربه

الأسلوب الإنشائي هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، فلا يقال عن صاحبه صادق ولا كاذب؛ «وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه »[1]، وحكمنا على الأسلوب الإنشائي بأنه لا يحتمل صدقا ولا كذبا إنما هو باعتبار الأسلوب نفسه لا ما يستلزمه أو يقتضيه، فالنداء: يا فلان، لا يحتمل صدقا ولا كذبا، ولكن لازمه خبر تقديره: أنا منادٍ فلانا، فليس المقصود بذلك إلا الأسلوب نفسه.

أضرب الإنشاء:

الإنشاء ضربان: طلبي وغير طلبي، فأما غير الطلبي [2] فهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو في أغلبه يضم أخبارا نُقلت إلى معنى الإنشاء، ومن ذلك:

- صيغ المدح والذّمّ، كنعم وبئس وحبذا ولا حبذا، وغيرها.
- صيغ العقود التي ترد أكثر ما ترد فعلا ماضيا، نحو: بعت واشتريت ووهبت..
- القسم: نحو: لعمرك ما فعلت كذا..
- التعجب: يكون بصيغتين: ما أفعله، أفعل به، وغيرهما نحو: لله درّك!
- الرجاء: يكون بعسى، حرى، اخلولق، نحو: (عسى الله أن يأتي بالفتح)

وأما الإنشاء الطلبي فهو «ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل »[3]، وعن أقسامه يقول صاحب الجوهر المكنون[4]:

والطلب: استدعاء ما لم يحصل/ أقسامه كثيرة ستنجلي

أمر ونهي ودعاء وندا / تمنٍّ استفهام ، اوتيت الهدى، فهي ستة، إلا أنهم أدخلوا الدعاء في الأمر والنهي، فأصبحت خمسة أقسام كما يلي:

1- الأمر: هو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله أربع صيغ:

- فعل الأمر نحو (خذ من أموالهم صدقة)
- المضارع المجزوم بلام الأمر: نحو (ولتكن منك أمة يدعون إلى الخير)
- اسم فعل الأمر، نحو: هاك، بله، عليكم في (عليكم أنفسكم) أي الزموا، ونحو: رويد بمعنى تمهل
- المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو(وبالوالدين إحسانا)، (فضرب الرقاب)، (فصبرا في مجال الموت صبرا)

وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقيّ إلى معنى آخر يُستفاد من السياق والقرائن، كالدعاء الذي هو أمر لا على وجه الاستعلاء، مثل: (رب اغفر لي وهب لي ملكا)، وكالالتماس الذي هو أمر صادر عن ندّ لندّه مساو له في القدر والمكانة، نحو: قفا نبك، وكالتعجيز في

---

[1] علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص69.

[2] يُنظر: جواهر البلاغة، ص69 وما بعدها.

[3] الإيضاح في علوم البلاغة، ص108.

[4] عبد الرحمان الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، (د ت)، ص31.

قوله تعالى: (فأتوا بسورة من مثله)، وكالتحقير والإهانة نحو: (كونوا حجارة أو حديدا)، وكالنصح والإرشاد نحو (واغضض من صوتك)، وكالإباحة نحو (كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)، وكالتهديد نحو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

2ـ النهي: هو طلب الكف والامتناع عن الفعل،على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة، هي الفعل المضارع المقترن بـ لا الناهية.

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي ليدل على معنى آخر يفيده السياق، كالدعاء في (لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)، وكالالتماس نحو (يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي)، وكالنصح نحو (ولا تجلس إلى أهل الدنايا/ فإن خلائق السفهاء تعدي)، وكالتحقير نحو (لا تطلب المجد واقنع/ فمطلب المجد صعب).

3ـ الاستفهام[1]: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، باستعمال إحدى أدواته، وهي: الهمزة، وهل، وما، ومن، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأيّ.

فالهمزة إما أن يُطلب بها التصور وهو إدراك المفرد، وفي هذه الحال يأتي المسؤول عنه بعد الهمزة مباشرة، مع معادل له في الغالب، نحو قولنا: (أكاتب أنت أم شاعر؟) وإما أن يطلب بها التصديق وهو إدراك النسبة، وفي هذه الحال يمتنع المعادل، كقولنا: (أينزل الثلج في الصحراء؟)

وأما هل فيُطلب بها التصديق لا غير ، وأما بقية الأدوات فيُطلب بها التصور، فمن للعقلاء، وما لشرح الاسم أو ماهية المسمى، ومتى لتعيين الزمان، وأيان لتعيين الزمان المستقبل خاصة، وكيف لتعيين الحال، وأين لتعيين المكان، وأنى بمعنى كيف أو بمعان أخر، وكم لتعيين العدد، وأيّ لتعيين أحد المتشاركين.

هذا وقد يخرج الاستفهام لمعان أخر على سبيل المجاز، كالنفي في (فمن يهدي من أضل الله؟) و(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟) و(أفأنت تنقذ من في النار؟)، وكالتعجب في (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟) و(أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم؟)، وكالتشويق في (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟)، وكالتمني في (هل إلى مرد من سبيل؟)، وكالقرير في (ألم نشرح لك صدرك؟) و(ألم نربك فينا وليدا؟)، وكالتحقير في (أهذا الذي بعث الله رسولا؟)، وكالاستبطاء في (متى نصر الله؟)، وكالإنكار في (أيحسب الإنسان أن يترك سدى؟) و(أتتخذ أصناما آلهة؟) و(أتعبدون ما تنحتون؟)، وقد يخرج الاستفهام إلى الأمر، كقوله (فهل أنتم مسلمون؟) أي أسلموا، و(فهل أنتم منتهون؟) أي انتهوا، و(أرأيت الذي يكذب بالدين؟) أي أخبرني

4ـ التمني: هو «طلب الشيء المحبوب الذي يُرجى حصوله إما لكونه مستحيلا...وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله »[2]، فالأول مثل: (ألا ليت الشباب يعود يوما)، والثاني مثل: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون)، وأدوات التمني غير ليت: هل ولعل، وغرضهما البلاغي

[1] يُنظر: علم المعاني، ص88 وما بعدها.
[2] جواهر البلاغة، ص87.

هو«إبراز المتمنى المستحيل وإظهاره في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به والشوق إليه »[1]، نحو: (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟) و(ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب).

وهناك "لو"، وغرضها البلاغي «الإشعار بعزة المتمنى وقدرته»[2]، ومثاله: (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين)

5- النداء: هو «طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمانية: الهمزة، وأي، ويا، وآ، وآيْ، وأيا، وهيا، ووا »[3]، والهمزة وأيْ لنداء القريب وسائر الأدوات لنداء البعيد.

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من السياق، كالتحسر في قول ابن الرومي: يا شبابي، وأين مني شبابي/ آذنتني حباله بانقضاب، و(قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها)، وكالزجر كقول الشاعر: إلام يا قلب تستبقي مودتهم/ وقد أذاقوك الوانا من الوصب، وكالدعاء في يا رب رحمتك، وكالإهانة والتحقير في (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون)، وكالتعجب في يا لجمال الربيع!، وكالندبة في: واإسلاماه !.

تطبيق: بيّن نوع الإنشاء واذكر المعنى المستفاد منه في كل مما يلي:

- اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا (أمر: دعاء) - لا تطمحنّ إلى المراتب قبل أن/ تتكامل الأدوات والأسباب (نهي: إرشاد) - أروني بخيلا طال عمرا ببخله/ وهاتوا كريما مات من كثرة البذل (أمر: تعجيز) - (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه؟) (استفهام: نفي) - لا تنه عن خلق وتأتي مثله (نهي: توبيخ) - (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين؟) (استفهام: استبعاد) - دع المكارم لا ترحل لبغيتها (أمر: تحقير) - اصبروا أو لا تصبروا (أمر: تسوية) - ذق إنك أنت العزيز الكريم (أمر: تهكم) - يا أبا القاسم الذي كنت أرجوه/ لدهري: قطعت حبل الرجاء (نداء: تحسر) - (ذرني ومن خلقت وحيدا) (أمر: تهديد) - (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) (نهي: تيئيس) - (أسمع بهم وأبصر) (أمر: تعجب) - (مالي لا أرى الهدهد) (استفهام: تعجب) - أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم (أمر: إرشاد) - أبنت الدهر عندي كل بنت/ فكيف وصلت أنت من الزحام؟ (استفهام: تعجب) - (ألم يجدك يتيما فآوى) (استفهام: تقرير) - (اعملوا ما شئتم) (أمر: تهديد) - (هل أدلك على شجرة الخلد) (استفهام: تشويق) - اختلاف النهار والليل ينسي/ اذكرا لي الصبا وأيام أنسي (أمر: التماس) - (هل إلى مرد من سبيل؟) (استفهام: تمني)

---

[1] علم المعاني، ص113.

[2] المرجع نفسه، ص113.

[3] جواهر البلاغة، ص89.